مليون عصفور

ايتـل عدنان

يتصل بي موريس بالهاتف . انه يريد اخراج فيلم ، ويطلب مني السيناريو . يصر موريس على أن يكون الموضوع حول عامل أقنعه موريس ورفاقه خلال احدى رحلات الصيد بالمجيء الى لبنان .

وليضعني في الجو ، عرض موريس في اليوم التالي علي فيلما ملونا مقيـاس (٨ سوبر) قام بتصويره مع رفاقه في البادية السورية وجنوب شرق تركيا .

يبتدىء العرض . أرى مساحات مفتوحة على الهواء والغبار . هناك عمود من الغبار يزوبع ، وسماوات رحبة مخططة بالاحمر الناري . أرى «جيب» الفولكسواغن يسوقها بيار ، والى جانبه موريس وطوني وفؤاد . بنادق الصيد واضحة للعيان .

ننتقل الى مشهد حيث العصافير تعبر السماء كتشكيلات الطائرات . انها وقائع حرب ١٩٤٤ ، أو أفلام الحروب التي صورتها . التربة كما في ليبيـا ، والصيادون يشبهون جنود « افريكا كورب » السمر .

هناك مشاهد جميلة جدا : مستنقع تعبره الجيب وتنثر حولها الماء . للوحل لون الصلصال المفرح . العصافير تعود ولكن الدنيـا تعتم . المغيب رائع باحتدامه . الصيادون يصوبون بنادقهم باتجاه السماء كأنها قواعـد لاطلاق الصواريخ . انهم يضحكون ليكشفوا عن اسنانهم وعافيتهم ولذتهم .

يعلق موريس بحماسة . على الارض تجلس زوجته ، وزوجة أخيه التي كانت زوجته سابقا ، وزوجة أخيه الآخر ، وصديقة لي ، وانا . جمهور كله من النسـاء يحتشد في شقة من أفخم منازل بيروت . طوني هو ابن عم صديقتي ، ويتصرف تجاه كل شيء بشكل مغيظ . كل ما يهمه هو ان « الرجال » رفضوا مرافقته في رحلـة الصيد هذه . انهم لم يريدوا ازعاج انفسهم .

فجأة نسمع لحنا لـ « بنك فلويد » . موسيقى متقطعة . على ايقاع هذه الموسيقى المتقطعة تتساقط العصافير . المونتاج تام . طوني يطلق النـار . يسقط عصفور . بيار يطلق النار . يسقط عصفور . موريس يطلق النار . يسقط عصفور . فؤاد يطلق النار . يسقط عصفور . كل الوجوه طلقة الا وجه فؤاد شقيق موريس . فؤاد هو القاتل الكامل ، يتعذب لأنه لا يقتل كفاية . الطلقة في جسد العصفور اصطدمت بشيء هش . لم يكن اصطدامها صلدا أو ناجحا .

فؤاد يفضل الصيد على التقبيل . انه يمقت عبارة ممارسة الحب ، لأنه كما يقول ، لا يمارس شيئا . انه يفضل مجموعة جيب ــ سرعة ــ بادية ــ عصفور ــ طلقة على مجموعة فتاة ــ في ــ سرير ــ طز . حتى « البارتوز » يضجرونه لأنه ليس من « السبور » كفاية أن تنغلق مع مجموعة وتصبح مخبولا بفضل الحشيش .